## لذة المعصية زائفة ولذة الطاعة باقية

نذكر بعض الأمثلة لذلك، فمن ذلك مثلا: الذين يتلذذون بسماع الأغاني، لا شك أنهم وإن لذَّذوا أنفسهم، ولكن عرضوها للعذاب، إذا كان اهل الطاعة يتلذذون بقراءة القران، وبذكر الله، وبدعائه ، وباستحضار عظمته، ويرون ذلك هو اعظم لذة، فهؤلاء الذين يجعلون بدل ذلك سماع أغنية فلان، وفلانة، وسماع صوت المطرب والمطربة، والفنان والفنانة، وما أشبه ذلك! أو كذلك يحضرون عند الذين يتغنون بأصوات رقيقة، وبنغمات مثيرة للأشجان، ونحو ذلك! إن هناكِ فرقا كبيرا بين الذين نعيمهم لذة يُحِبِّهَا الله تعالى: ذكره، وتلاوة كتابه، والذين نعيمهم غناء، وزمر، ورقص، وتمايل، وتَفَنَّنُ في هذه الأصوات، فيكونون قد حَرَمُوا أنفسهم التلذذ بالطاعة، واستبدلوا بها التلذذ بالمعصية، وعلامة ذلك أنهم يستثقلون كلام الله، يستثقلون سماع القرآن، وأنهم يستبدلونه بهذا الغناء ونحوه، لا يجتمعان أبدا. يقول ابن القيم رحمه الله: حب القـرآن وحب ألِجِـان الغنـا فـي قـلب عبـدِ ليس يجتمعـان يعني: أن الذي يُحِبُّ القران لا بد أن يكره سماع الغناء، وأن يَنْفُرَ منه، والذي يَلتَذُّ بالغناء لا بد أن يثقل عليه سماع كلام الله، وهذا واقع كثيرا في المتقدمين وفي المتاخرين، حتى قال فيهم بعض الشعراء: تُلبي الكتـاب فأطرقوا لا خيفـة لكنــه إطــراق ســاهِ لاهِـي وأتى الغنـاء فكالحمـير تناهقوا واللـه مـا رقصـوا لأجـل اللـهِ يعني: أنهم لما سمعوا القرآن أطرقوا، ولكن مع سهو ولهو، ولما جاء الغناء طاروا به فرحا، كانهم سمعوا نعيمهم ولذتهم، طاروا به فرحا، كالحمير: شبههم بمثل سَيِّئ. وأتي الغنـاء فكالحمـير تناهقوا واللـه مـا رقصـوا لأجـل اللـهِ دف ومزمــار ونغمـة شـادن فمتـي رأيــت عبـادة بملاهـَي يعني: أن طربهم بهذا الدَّفِّ...بهذه الدفوف والطبول، وبهذه المزامير، وبهذه النغمات- النغمات الموسيقائية، والنغمات المحركة، والمثيرة للهمم وللفساد، وللاندفاع إلى الفواحش- وما أشبهها، ثم شبَّه هذا بأنه خمر بقوله: إن لم يكـن خمر الجسوم فإنـه خمـر العقـول مماثـل ومُضَاهي يعني: هذه الأصوات وهذهُ الأغاني هي خمر العقولُ، وإن كانت لا تُشْكِرُ الأُجسام، ولكن تسكر العقولُ وتُغَيِّرُهَا، ثم يقول: انظـر إلـي النِشوان عند شرابه وانظـر إلى النشـوان عند ملاهي وانظـر إلـي تمـزيق ذا أثوابه مـن بعـد تمزيق الفـؤاد اللاهي واحكم باي الخمرتين أحق بالتـ تحـريـم والتـاثيـم عنـد اللـهِ فالذين ابتلوا بسماع الأغاني ومحبتها لا يحبون القران، بل يستثقلونه، يقول فيهم بعض الشعراء: وإذا تلا القـاري عليهـم سـورة فاطالهــا عــدوه فـي الأثقـال ويقـول قـائلهم: أطلت! وليس ذا عشـر فَخَفِّـفْ.. انـت ذو إمـلال! فهكذا يكون حالة الذين يحبون الغناء، وينفرون من القران ومن سماعه، لا شك انهم- وإن تلذذوا به في الدنيا- فإن لذتهم تنقلب حسرة، ويعاقبهم الله بأن يحرمهم لذة الجنة، وما فيها من الطرب ونحوه. قد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن في الجنة الحور العين، وأنهن يُطْرِبْن مَن يَدْخُلُهَا، يقلِن: { نحن الخالدات فلا نموت أبدا، ونحن الناعمات فلا نبأس أبدا، طوبي لمن كان لنا وكنا له } ِهذا سَماع أهل الجنة. وأما سماع أهل الدنيا فهو: هذه النغمات، وهذه المراقص، وهذه الكلمات البذيئة، وإن تنعموا بها، اما اولياء الله تعالى فإن تلذذهم بسماع القران، وبالصلاة، وبالتهجد، وما أشبه ذلكِ. يقول بعض العلماء: رُويَ عن أبي سليمان الداراني رحيمه الله قال: أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم! اهل الليل يعني: التهجد.. الذين يتهجدون طوال الليل، يُصَلون، ويتدبرون القران، يقومون ويقعدون، بركعون ويسجدون، يخشعون لربهم ويخضعون، يتواضعون لله يدعونه مخلصين له الدين، هؤلاء لذتهم بهذه العبادة ألذّ من أهل اللهو، أهل اللهو يعني: أهل الغناء، وأهل المزامير، وأهل الرقص، وأهل التمايل، وأهل الآلات -الات اللهو ونحوها: الأعواد، والطبول وما أشبهها- في نظرهم أنهم يتلذذون، وأنهم يتنعمون، ولكن فرق كبير بينهم، وبين أهل التهجد، هؤلاء يتلذذون بذِكْر الله، ويجدون له نشوةً، وطربا، وسرورا، وقوة في قلوبهم، وقوة في أجسامهم، ومع ذلك يثيبهم الله في دنياهم واخراهم، وهؤلاء الآخرون -اهل اللهو- وإن تنعموا في دنياهم، ولكن مالهم -والعياذ يالله- إلى الخسران، وإلى الخوف، وإلى الُّعذاَّب عاجًلاً وآجلا، وإَلَى الذُّلِّ في الَّدنياَ، فإن أهَل المعاصِي لاَ بد أن الله تعالى يُذِلَّهُمْ كمَا رُوِيَ عِنَ الحِسَن أنه قاَل: إنهَم وإن طِقطقت بهِم البغال، وهَمْلِجَتْ ٍ بهم البَرَاذِينُ، فِإِنَّ ذُلِّ المعاصي لا يفارق قلوبهم، أبي الله إلا أن يُذِلُّ مَنْ عصاه! يعني: لا بد أن الله يُذِلُّ العصاة، ويُظْهِرُ ذُلَّهُمْ في دنياهم أو في أَخْرَاهم. وكان بعض الصالحين يقول: إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خُلق دابتي وامراتي، يعني: إذا عمل سيئة -ولو كانت صغيرة- رأى أثر هذه المعصية عاجلا، حتى في خُلُق دابته التي يركبها كَفرس أو بَغْل أو بَعِير أو نحو ذلك، وفي خُلُق امرأته -التي هي زوجته- يرى أثر ذلك بأن تتسلط عليه، وبأن تسيء عشرته، أو تسيء خُلَقَها معهَ، هذه عقوبة في الدنياً. لا شك أن المسلم الذي يعرف الله تعالى، ويعرف حَقَّهُ عليه، لا بد أنه يحرص على طاعة الله تعالى، ويحتسب أجره، يعرف أن ثواب الطاعة في الدنيا عاجل، بحيث إن الله تعالى يُعَجِّلُ له الحسنة في الدنيا، ويجيب دعوته إذا دعا رَبَّهُ بقول: ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة! فحسنة الدنيا: الحياة السعيدة، وحسنة الدنيا: الصحة، وحسنة الدنيا: الرزق الهنيء، وحسنة الدنيا: الأمن، والسرور، والاطمئنان وما أشبه ذلك.. وحسنة الآخرة لا يعلم قَدْرَها إلا الله، وهي الجنة التي عرضها السموات والأرض، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خَطر على قَلبِ بَشَر.